الشاعر كعب بن زهير وقصيدته البردة

سميت هذه القصيدة بالبردة، وبه اشتهرت عبر التاريخ. وسبب تسميتها بذلك هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع هذه القصيدة من كعب بن زهير رضي الله عنه، وخاصة عندما تلا عليه هذا البيت النوراني:

إن الرسول لسيف يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

قام صلى الله عليه وسلم ورمى عليه بردته الشريفة. وقد ظل رضي الله عنه محتفظا بها طوال حياته، وامتنع أن يعطيها معاوية رضي الله عنه مقابل مال أرسله إليه، وأجابه قائلا: "ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا" . ولم يحصل عليها إلا بعد وفاته، حيث أخذها من أبنائه مقابل مال أعطاه إياهم.

بردة كعب بن زهير

|  |  |
| --- | --- |
| بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ | مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ |
| وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا | إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ |
| هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً | لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ |
| تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلمٍ إِذا اِبتَسَمَت | كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ |
| شُجَّت بِذي شَبَمٍ مِن ماءِ مَحنِيَةٍ | صافٍ بِأَبطَحَ أَضحى وَهُوَ مَشمولُ |
| تَجلو الرِياحُ القَذى عَنُه وَأَفرَطَهُ | مِن صَوبِ سارِيَةٍ بيضٍ يَعاليلُ |
| يا وَيحَها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت | ما وَعَدَت أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ |
| لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها | فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ |
| فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها | كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ |
| وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت | إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ |
| كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً | وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ |
| أَرجو وَآمُلُ أَن يَعجَلنَ في أَبَدٍ | وَما لَهُنَّ طِوالَ الدَهرِ تَعجيلُ |
| فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت | إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ |
| أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها | إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ |
| وَلَن يُبَلِّغها إِلّا عُذافِرَةٌ | فيها عَلى الأَينِ إِرقالٌ وَتَبغيلُ |
| مِن كُلِّ نَضّاخَةِ الذِفرى إِذا عَرِقَت | عُرضَتُها طامِسُ الأَعلامِ مَجهولُ |
| تَرمي الغُيوبَ بِعَينَي مُفرَدٍ لَهَقٍ | إِذا تَوَقَدَتِ الحُزّانُ وَالميلُ |
| ضَخمٌ مُقَلَّدُها فَعَمٌ مُقَيَّدُها | في خَلقِها عَن بَناتِ الفَحلِ تَفضيلُ |
| حَرفٌ أَخوها أَبوها مِن مُهَجَّنَةٍ | وَعَمُّها خَالُها قَوداءُ شِمليلُ |
| يَمشي القُرادُ عَلَيها ثُمَّ يُزلِقُهُ | مِنها لَبانٌ وَأَقرابٌ زَهاليلُ |
| عَيرانَةٌ قُذِفَت في اللَحمِ عَن عُرُضٍ | مِرفَقُها عَن بَناتِ الزورِ مَفتولُ |
| كَأَنَّ ما فاتَ عَينَيها وَمَذبَحَها | مِن خَطمِها وَمِن اللَحيَينِ بَرطيلُ |
| تَمُرُّ مِثلَ عَسيبِ النَخلِ ذا خُصَلٍ | في غارِزٍ لَم تَخَوَّنَهُ الأَحاليلُ |
| قَنواءُ في حُرَّتَيها لِلبَصيرِ بِها | عِتقٌ مُبينٌ وَفي الخَدَّينِ تَسهيلُ |
| تَخدي عَلى يَسَراتٍ وَهيَ لاحِقَةٌ | ذَوابِلٌ وَقعُهُنُّ الأَرضَ تَحليلُ |
| سُمرُ العُجاياتِ يَترُكنَ الحَصى زِيَماً | لَم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكُمِ تَنعيلُ |
| يَوماً يَظَلُّ بِهِ الحَرباءُ مُصطَخِماً | كَأَنَّ ضاحِيَهُ بِالنارِ مَملولُ |
| كَأَنَّ أَوبَ ذِراعَيها وَقَد عَرِقَت | وَقَد تَلَفَّعَ بِالقورِ العَساقيلُ |
| وَقالَ لِلقَومِ حاديهِم وَقَد جَعَلَت | وُرقُ الجَنادِبِ يَركُضنَ الحَصى قيلوا |
| شَدَّ النهارُ ذِراعاً عَيطلٍ نَصَفٍ | قامَت فَجاوَبَها نُكدٌ مَثاكيلُ |
| نَوّاحَةٌ رَخوَةُ الضَبعَين لَيسَ لَها | لَمّا نَعى بِكرَها الناعونَ مَعقولُ |
| تَفِري اللِبانَ بِكَفَّيها وَمِدرَعِها | مُشَقَّقٌ عَن تَراقيها رَعابيلُ |
| يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم | إِنَّكَ يَا بنَ أَبي سُلمى لَمَقتولُ |
| وَقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنتُ آمُلُهُ | لا أُلفِيَنَّكَ إِنّي عَنكَ مَشغولُ |
| فَقُلتُ خَلّوا سبيلي لا أَبا لَكُمُ | فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ |
| كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ | يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ |
| أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني | وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ |
| مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال | قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ |
| لا تَأَخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم | أُذِنب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ |
| لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ | أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ |
| لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ | مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللَهِ تَنويلُ |
| مازِلتُ أَقتَطِعُ البَيداءَ مُدَّرِعاً | جُنحَ الظَلامِ وَثَوبُ اللَيلِ مَسبولُ |
| حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ | في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ |
| لَذاكَ أَهَيبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُهُ | وَقيلَ إِنَّكَ مَسبورٌ وَمَسؤولُ |
| مِن ضَيغَمٍ مِن ضِراءَ الأُسدِ مُخدِرَةً | بِبَطنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَهُ غيلُ |
| يَغدو فَيَلحَمُ ضِرغامَين عَيشُهُما | لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعفورٌ خَراذيلُ |
| إذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ لَهُ | أَن يَترُكَ القِرنَ إِلّا وَهُوَ مَفلولُ |
| مِنهُ تَظَلُّ حَميرُ الوَحشِ ضامِرَةً | وَلا تُمَشّي بِواديهِ الأَراجيلُ |
| وَلا يَزالُ بِواديِهِ أخَو ثِقَةٍ | مُطَرَّحُ البَزِّ وَالدَرسانِ مَأكولُ |
| إِنَّ الرَسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ | مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللَهِ مَسلولُ |
| في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم | بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسَلَموا زولوا |
| زَالوا فَمازالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ | عِندَ اللِقاءِ وَلا ميلٌ مَعازيلُ |
| شُمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ | مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ |
| بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ | كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجدولُ |
| يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم | ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السودُ التَنابيلُ |
| لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ | قَوماً وَلَيسوا مَجازيعاً إِذا نيلوا |
| لا يَقَعُ الطَعنُ إِلّا في نُحورِهِمُ | ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ |

                                  شرح الابيات

في لحظ حاسمة يملؤها الخوف من القتل والأمل في العفو يقول كعب: علمت أن الرسول أهدر دمي ولكني الله أن يترفق به ولاأرجو منه العفو وهذا أملى في كرمه ورحمته ـــ ثم يتوسل غليه يتعجل في عقابه قائلاً: رفقاً يا من بعثك الله رحمة للعالمين وهداية للناس وانزل عليك نعمة القرآن الذي يجمع المواعظ والأحكام ــ فلا تحكم علىِّ بما قال الوشاة الحاقدون فأنا برى من كل تهمة على الغم من كثرة ما اتهموني به ـــ وقد أصبحت في موقف صعب لا يتحمله الأقوياء فلو كان الفيل الضخم القوي في مثل موقفي يرى الشر في عيون الجميع ويسمع التهديد في كل مكان ــ لأصبته رجفة الخوف ما لم يشمله عفوُ الرسول الكريم بإذن الله.

ب) مدح الرسول والمهاجرين

نور يهتدي فالرسول الله. وحوله كبار الصحابة من قبيلة قريشρبه الناس وسيف قاطع مرفوع في سبيل الذين هاجروا من مكة إلى المدينة عملاً بإشارة الرسول لنشر الإسلام ومبادئه ــ لا خوفاً ولا جبناُ فهم معروفون بالشجاعة والقوة في المعارك ولهم خبرة في الفروسية واستخدام السلاح ــ ويمتازون بالعزة والإباء والشمم والبطولة ويلبسون الدروع السابغات كأنها من صناعة نبي الله داود والمعروفة بالدقة والمثانة ــ وأخلاقهم متينة لا يبطرهم النصر فيبالغون في الفرح إذا انتصروا ولا يجزعون إذا هُزمُوا وتنهار أعصابهم فهم أصحاب العّزة والصلابة ــ وهم شجعان يقبلون على الموت فلا يصابون إلا في صدورهم وليسوا جبناء يفرون من الموت عند المعارك .

                                     غرض هذا النص

1- (الغرض من القصيدة): الاعتذار والمدح وهو من الأغراض المتداولة في الجاهلية والإسلام لأن حياة الشاعر لا تخلوا من أخطاء يعتذر عنها ــ وهو يجعل المدح وسيلة لإرضاء من يعتذر إليه حتى يكسب عطفه ورضاه ــ وكان النابغة الذبياني في الجاهلية فارس هذا الميدان ــ وسار على طريقة كعبُ بنُ زهير مع اختلاف الظروف فالنابغة يخشى بطش ملك ظالم هو النعمان وكعب يأمل العفو من إنسان عظيم هو الرسول الكريم ولذلك بات النابغة في أرق وعذاب بعد تهديد الملك له أما (كعب) فقد احتمى بالإسلام وبايع الرسول عليه السلام والرسول لا يقتل المسلمين ومبادئ الإسلام تدعو إلى الرحمة فتحقق أملهُ في العفو.

2-بدأ (كعب) قصيدته بالغزل الصناعي على عادة الشعراء في ذلك العصر تمهيداً للمدح وقد كانوا يبدءون بالغزل لارتباطه بحياة البادية وأهمية المرأة عند العرب ولأنه كالموسيقى التي تمهد للإنشاد سواء في الوصف أو المدح أو حتى في الرثاء.

وقد استمر الشعراء يبدءون مدحهم للرسول بالغزل على مر العصور.

فهذا البوصيري وهو من شعراء العصر العثماني يبدأ( البردة(

وبالغزل فيقول :

أمِن تذكر جيرانٍ بدى سلم سفكتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدم ؟

وهذا أمير الشعراء في العصر الحديث (أحمد شوقي) يبدأ (نهج البردة) بقوله:

(ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعَلِم أحلّ سفك دمي بالأشهر الحرُم)

ويرى النقاد أنه تقليد لا عيب فيه ولا يمس شرف الموضوع وهو مدح الرسول عليه السلام بدليل أن الرسول نفسه استمع إلى قصيدة (كعب) وما فيها من الغزل وأعجب بها وخلع عليه بردته وعفا عنه.

3-الألفاظ واضحة وملائمة للجو النفسي تبعاً لكل موقف فعند الاعتذار والاستعطاف تدل على الخوف والرجاء في العفو مثل ( أو عدني ـ العفو مأمول ــ مهلاً ــ الوشاة ــ لم أذنب ــ الأقاويل ــ يرعد (.

وعند المدح تجد صفات الهداية والقوة مثل ( نور ــ يستضاء به ــ مهند ــ سيوف الله ــ عصبة ــ شم ــ العرائن ــ أبطال ــ حياض الموت (.

ولعلك تسأل لماذا مدح المهاجرين ولم يمدح الأنصار ؟

والجواب عن ذلك أن بعض المهاجرين هم الذين أرشدوه إلى طريق النجاة ومهدوا له عند الرسول .

والعبارات محكمة متينة وإن كان في بعضها تقديم وتأخير أدى إلى التعقيد .

4-الأساليب متنوعة بين الخبر والإنشاء الذي يثير المشاعر ويحرك الذهن ويشوق السامع أو القارئ كما في الأمر (مهلاً) وفي النهي (لا تأخذني) فهما إنشاء وبقية الأساليب خبرية لتقرير صفات المدح.

5-استعان الشاعر ببعض وسائل التوكيد لتقوية المعاني مثل ( إن الرسول لنور ) فهو مؤكد بأن واللام ــ و( لقد أقوم ) مؤكد باللام وقد ــ و( لا يقع الطعن إلا في نحورهم ) فهو أسلوب قصر بالنفي (لا) و الاستثناء (إلا) ويفيد التخصيص والتوكيد.

6-من المحسنات البديعية ( الطباق ) بين ( أوع دني ــ العفو ). والالتفات من الغيبة في (أن رسول الله أو عدني) إلى الخطاب في (مهلاً هداك الذي أعطاك ــ لا تأخذني) ثم العودة إلى الغيبة في (إن الرسول لنور يستضاء به) وذلك للتشويق وتحريك الذهن.

7-الصور الخيالية قليلة اعتماداً على الإقناع العقلي بنفي التهمة (لم أذنب) واعتبار ذلك من أقوال الوشاة ــ ومع ذلك جاءت صور رائعة مثل ( إن الرسول لنور.....مهند من سيوف الله) و(شم العرانين ــ لا يقع الطعن إلا في نحورهم ــ مالهم عن حياض الموت تهليل(.

8-تبدو ملامح شخصية الشاعر من خلال النص: فهو مؤمن يريد أن يعتذر عما نسب إليه وشعوره قوي بعظمة الإسلام وله موهبة في الشعر ممتازة .

9-الموسيقى في النص: واضحة في الوزن والقافية فقد اختار بحر البسيط الممتد ليلائم الاعتذار والمدح واختار قافية اللام المطلقة القوية لتساعد على التأثير النفسي ــ وفي النص موسيقى خفية نابعة من حسن اختيار الألفاظ وتنسيقها وترابط المعاني وجمال التصوير.

10-أثر البيئة في النص : كان الشاعر مخضرما ولذلك تأثر بالجاهلية والإسلام كما يلي :

أ- البدء بالغزل يدل على تأثر الشاعر بالبيئة التي عاش فيها حيث اعتاد الشعراء ذلك.

ب- اعتبار الفيل رمزاً للقوة والتحمل وذلك ناشئ مما سمعوه عن الفيل وإن لم يكن من بيئتهم فقد سمعوا عن (فيل أبرهة) الذي جاء لهد الكعبة وأرسل الله عليه الطير الأبابيل قبل الإسلام.

ج- الصور منتزعة من البيئة مثل (شم العرانين) حيث كان ارتفاع الأنف دليلاً على العزة عند العرب القدامى. و(حياض الموت) حيث كانوا يمثلون الحياض للشرب ، والإعداد للحرب بلبس الدروع المتينة.

و- استخدام السيف الهندي في الحرب والرمح في الطعن ــ وإصابة الصدر تدل على الشجاعة والأقدام.

هـ- تأثر الشاعر بالبيئة الإسلامية في المعاني والألفاظ وظهر أثر ذلك في تكرار لفظ (رسول الله) والأمل في (عفو رسول الله) و(هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل) وربط الأعمال بمشيئة الله (إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل) ومعرفة أخبار سيدنا داود كما وردت في القرآن الكريم حيث ألان له الحديد وعلمه نسج الدروع السابغات منه يظهر ذلك في قول (كعب) عن قريش (لبوسهم من نسج داود). ومن الصفات التي غرسها الإسلام في المسلمين الاعتدال في إظهار المشاعر فلا غرور عند النصر ولا يأس عند الهزيمة وقد عبر الشاعر عن ذلك في قوله :

لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلُوا

وقد تناول حسان بن ثابت هذا المعنى فقال :

لا يفخرون إذا نالوا عدوّهم وإن أصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

                            مميزاته من حيث المضمون :

لم تكن معانيه جديدة كل الجدًّة ، فهي في معظمها معان شائعة:

1-استوحى فيها الشاعر قيم الجاهلية في ما نعت به النبي وصحبه من قريش حين وصفهم بالشجاعة والسطو والكرم والنبل . ولم يشر فيها إلى فروض الإسلام, ولا ذكر آية أو حديثاً لأنه يجهل الدين الإسلامي بعد.

2-تتلمذ لأبيه زهير في مل أورده من حكم (كل ابن أنثى.... إن الأمانيًّ والأحلام ....).

3-عُني، شأن، الأوسيين بتتبع المعاني، فهو إذا وصف إخلاف سعاد تبسًّط في الموضوع، ولكنًّ تبًُسطه ليس تحليلاً وتعمقاً، وإنما هو تكرار وصور بها التقرير.

4-كما تأثر بنوع خاص بالنابغة الذبياني، فردّد صيغاً ومعاني شبيهة بما قاله وذلك حين طلب من الرسول أن لا يأخذه بأقوال الوشاة. قال كعب:

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت فيًّ الأقاويل

وذلك غير بعيد عن النابغة في اعتذاره للنعمان :

لَئِن كُنت قد بُــــلًّغت عني وشايةً لمبُلغك الواشي أغشُّ وأكذبُ

إلا أن الفرق بين النابغة وكعب يمكن في تلقيح ما قاله كعب بشيء من الإسلام فإذا نحن أمام شاعر يقول:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن في مواعيظ وتفصيل

أن الرسول لنوٌر يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في حين أن النابغة أقسم يميناً وثنيه فقال :

فلا لعمر الذي مسَّحتُ كعبته وما هُريقَ على الأنصاب من جسد

5-براعته في تصوير سطوة النبي، وذكر الأسباب التي يرضى عنها الرسول : ( الله ، رسول الله ، إن الرسول لنور ، مهند من سيوف الله)

6-براعته في تصوير اليأس والرجاء و أصطراعهما عي نفسه : ( أرجو وآمل أن تدنو مودًّتها ).

7-أخذه بالعظيم من الأشياء على طريقة العقلية الجاهلية ( الفيل لتصوير ذعره وخوفه ).

ويضاف إلى هذا ،ما تركه الإسلام من أثر في النصّ كأيمان الشاعر بالقدر ، (وكل ما قدر الرحمن مفعول) وتغنّيه بشجاعة المسلمين وتفانيهم في سبيل دينهم ، والتهويل بهم على الأعداء ، وإظهار ما لديهم من بأس يحقق لهم النصر في كل معركة.

مميزاته من حيث الأسلوب:

1-إنه يتبع الطريقة التقليدية من حيث الاستهلال بالغزل ، والانتقال إلى وصف الناقة بتفصيل على نهج طرفة بن العبد .

2-ترى طابع المدرسة الأوسية غالباً عليه. فكعب يحسن انتقاء ألفاظه شأن الاوسيين مع غرابة في بعضها، وتحسن عنده قوة الأسلوب ومتانة التراكيب مع السهولة والرقة أحياناً. وتلمس تراكم الصور الحسية المادية في أبياته، وذلك في تشبيه سعاد بالغزل في عذوبة النبرات وسحر العيون، وتشبيه النبي بالأسد ،ثم وصفه هذا الأسد وصفاً قصصياً على طريقة النابغة، وتشبيه النبي كذلك بالسيف، وكل هذه صور وثيقة الصلة بالأخيلة الجاهلية.

3-كما بظهر استعمال الجمل الاعتراضية، وامتداد المعاني والصور إلى بيتين أو أكثر ( لقد أقوم ... لظل يرعد ... ).

4-وترى عنده ما اعتاد العرب عليه في أساليبهم من عدم السير على وتيرة واحدة، حتى لا يملّ السامع وينصرف عن القول؛ مثل انتقاله في قصيدته من الغيبة إلى الخطاب، وهو ما يسمى عند العرب بالالتفات وقد لجأ إليه الشاعر في قوله :

أرجو وأمل أن تدنو مودتها وما أخال لدنيا منك تنويل

فهو قد انتقل من الغيبة (مودتها) إلى الخطاب (منك)، وكذلك قوله:

نبئت أن رسول الله أوعدني و العفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيه مواعيظ وتفصيل

فقد التفت من الغيبة في البيت الأول(رسول الله) إلى الخطاب في البيت الثاني (هداك).

5-وكعب بارع في استعمال طريقة: لكل مقام مقال، فيرقّ لفظه في الحديث عن النبي وصحبه ودينه بعد إن كانت مفرداته غريبة في وصف الناقة. (الذي أهملناه قصداً).

                           قيمة القصيدة ودلالتها على العصر:

على الرغم من أن الشاعر اتبع النهج الجاهلي، واستوحى منه معانيه، فالقصيدة لا تخلو، ضمن هذا الإطار، من قيمة خاصّة تكمن في نغمها الشجي الذي تحفل به ألفاظه، وفي روعة خياله الذي مثل به صفات الحسن في حبيبته، وشبه الرسول بالنور والسيف في الهداية والقضاء على الشر، ووصف لنا حيرته واضطرابه وما حلّ به من فزع وهلع بإهدار الرسول دمه، وسعي الوشاة حوله من كل جانب لبعث الخوف في نفسه وملء قلبه باليأس.

وقد حالف كعباً التوفيق في ترتيب أفكاره وعرضها عرضاً بارعاً بلغ به ما قصد إليه من عفو الرسول وصفحه، وضمن له التلاحق الفكري الذي تميّزت به قصيدته.

وكان أثر البيئة واضحاً في نصّه نجده في العتاق النجيبات، وفي تشبيه الرسول بالسيف الهندي، وفي ذكر آلات الحرب من درع وسيف ورمح.

كما كان أثر الإسلام بيناً في معاني النص وبعض عباراته وألفاظه، يظهر ذلك في : كل ما قدر الرحمن مفعول ــ رسول الله ــ نافلة القرآن ــ لما أسلموا. ويظهر كذلك في عدم إجازة القبائل كعباً وكان قد لجأ إليها مستجيراً.